الاستقطاب التجاري للمدن المتوسطة -حالة مدينة بسكرة-

مسعودي دليلة، ازرايب صالح

Messaoudi Dalila[1], Zraib Salah[2]

[1]Université de Batna 2/ Département des sciences de la terre et de l'univers / Batna, Algérie, d.messaoudi@univ-batna2.dz

[2] Université de Batna 2/ Département des sciences de la terre et de l'univers / Batna, Algérie, zeraibsala@yahoo.fr

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تشخيص ظاهرة الاستقطاب التجاري للمدن المتوسطة، أين سلطنا الضوء على محلات التجارة الصافية لمدينة بسكرة كحالة دراسية والتي شكلت ما نسبته 67.29% من إجمالي المحلات التجارية.

استخدمت الدراسة المنهج الكمي والوصفي لتوضيح خاصية الاستقطاب التجاري لدى عينة من أصحاب التجارة الصافية لمدينة بسكرة. بينت الدراسة أهمية التجارة الصافية من خلال استقطابها للتجار من مهن مختلفة، حيث يشكل التجار الذين توجهوا من قطاعات أخرى للعمل في قطاع التجارة مانسبته 73.67%، كما بينت الدراسة استقطاب المدينة للتجار من خارج مجال الدراسة أغلبهم من ولاية باتنة بنسبة54.45% والتي تعكس العلاقة الوظيفية التي تربطها بولاية باتنة، والتوافد المعتبر للتجار من الولايات الساحلية ونخص ولاية جيجل بنسبة2.97%.

كلمات دلالية: الاستقطاب التجاري، المدن المتوسطة، بسكرة، التجارة الصافية، تجار

The commercial polarization in middle cities
- Biskra city as a case study-

ABSTRACT:
This study aims to diagnose the phenomenon of commercial polarization in middle cities, where we chose the net commercial shops of Biskra city as a case study, which constituted 67.29% of the total shops.

The study used the quantitative and descriptive approach to illustrate the characteristic of commercial polarization for sample of merchants in Biskra city .The study showed the importance of net commercial by attracting merchants from different professions, where the merchants who went from other sectors to work in the commercial sector accounted for 73.67%, and the study showed that the city attracts merchants from outside the city, most of them from Batna by 54.45%, which reflects functional relationship with the Wilaya of Batna, and the significant influx of merchants from the coastal Regions, especially Jijel, by 2.97%.

KEYWORDS: commercial polarization, middle cities, Biskra, net commercial, merchants

مقدمة:

تعد الوظيفة التجارية من أهم الوظائف الاقتصادية التي تلعب دورا كبيرا في نمو المدن بما فيها المدن المتوسطة، حيث كتب المختصان في جغرافية المدن Anne Querien و Pierre Lassave سنة 1998 أن " المساحات التجارية في كل مرة تزداد كما ونوعا، مثلها مثل أحياء المدينة وسكانها الذين تجذبهم هذه المساحات" (Bakhouche, 2002)، ومدينة بسكرة بوابة الصحراء تميزت منذ القدم بطابعها التجاري حيث كانت مركزا رئيسيا للجنوب الشرقي، وقبلة الرحل تتمتع بمكانة اقتصادية هامة، فبعد التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها الجزائر إثر سياسة الانفتاح على اقتصاد السوق وتحرير المعاملات التجارية وهو ما أطلق عليه بعض الباحثين بالثورة الصامتة في بنية النشاط الاقتصادي باعتبار التجارة أحد فروع قطاع الخدمات(مصيلحي، 2001)، عرفت مدينة بسكرة كباقي المدن المتوسطة الجزائرية ازدهار وتنوع الأنشطة التجارية بما فيها التجارة الصافية والتي شكلت **67.29%** من إجمالي المحلات التجارية، مما أثرت بشكل مباشر على الحركية الاقتصادية للمدينة ورفعت من مستوى أدائها من ناحية النوعية والكمية ووسعت من مجال نفوذها(Fontaine, 1996) واستقطابها لليد العاملة من مختلف المهن ومختلف المناطق، وخاصة بعد الترقية الإدارية التي حظيت بها المدينة سنة 1974، وهذا ما دعانا إلى طرح الإشكالية التالية:

ما أهمية الاستقطاب التجاري لمدينة بسكرة؟

فرضيات الدراسة:

- إن ظاهرة الاستقطاب التجاري بمدينة بسكرة مرتبط بموقعها الاستراتيجي.
- ظاهرة الاستقطاب التجاري ناتجة عن عدم الحصول على مناصب عمل دائمة.
- تبرز أهمية الاستقطاب التجاري لمدينة بسكرة من خلال توافد التجار من خارج ولاية بسكرة.

منهجية البحث:

اعتمدنا أساسا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي للتعبير عن المكانة التجارية التي تزخر بها مدينة بسكرة منذ القدم بالإضافة إلى المنهجين الوصفي و الكمي، من أجل تشخيص ظاهرة الاستقطاب التجاري لمجال الدراسة. حيث تم إحصاء محلات التجارة الصافية للمدينة (سنة 2019)، بعد تقسيمها إلى قطاعات حضرية (شكل 01) للكشف عن القطاعات الأكثر استقطابا لهذا النوع من التجارة، بالإضافة إلى توزيع استمارة(سنة 2020)كأداة أساسية لجمع المعطيات وتحقيق الأهداف، والتي تم توزيعها على 10% من أصحاب محلات التجارة الصافية أي ما يمثل 260 استمارة، تتضمن استمارة البحث أسئلة تتعلق بالمهنة السابقة، أسباب التوجه للعمل في قطاع التجارة، الأصل الجغرافي لأصحاب محلات التجارة الصافية.

شكل(01): القطاعات الحضرية لمدينة بسكرة

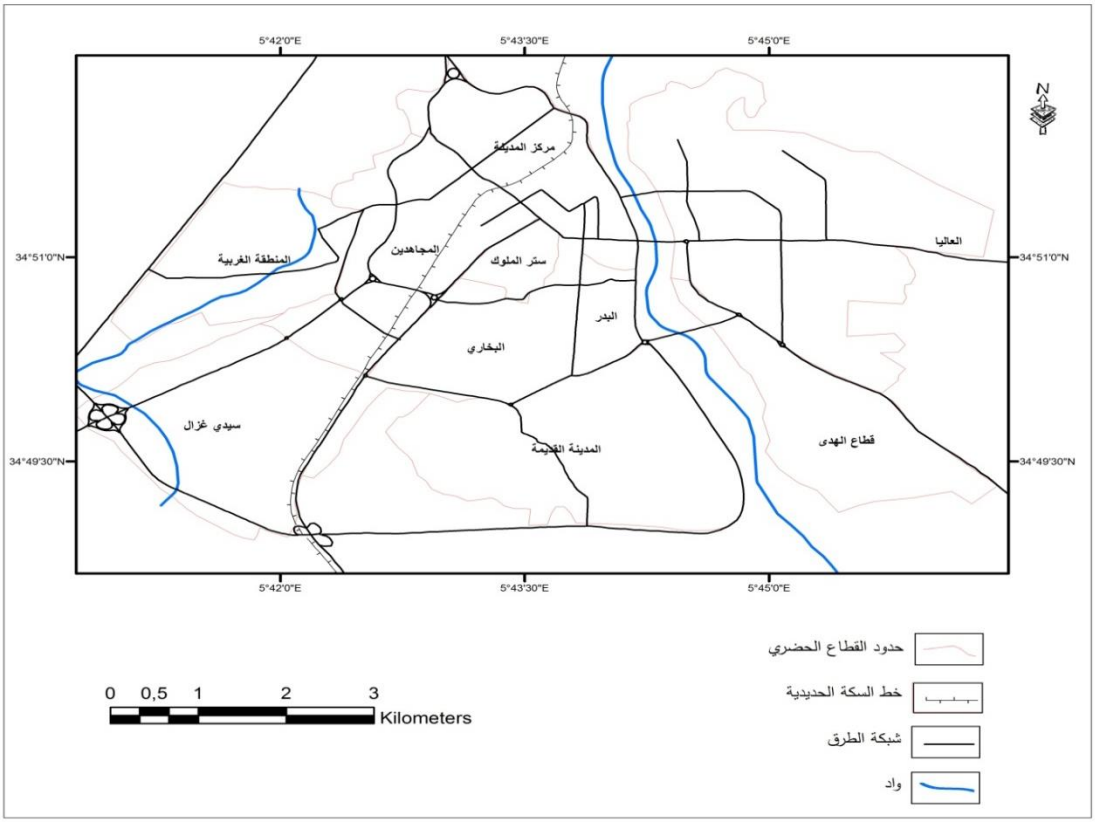

1. الاستقطاب التجاري لمدينة بسكرة:

1.1مدينة بسكرة ذات طابع تجاري منذ القدم:

اختلف المؤرخون في ضبط أصل التسمية لمدينة بسكرة حيث يرى الجغرافي المؤرخ " شارل تيسو "أن اسمها " فيسيرا "وهي كلمة رومانية، تعني المحطة التجارية أ و"بيسينام " " Pisicinam" نسبة إلى المنبع المعدني حمام الصالحين، وهو اسم مدينة بسكرة حاليا، أما المؤرخ زهير الزاهري فيرى بأن اسم مدينة بسكرة نسبة إلى حلاوة تمرها (شايب ذراع، 2014)، لكن الأسباب الحقيقية لاستقرار الإنسان فيها هو الموقع الاستراتيجي، حيث تعتبر بوابة الصحراء وعاصمة ومركزا للأنشطة الإدارية والاقتصادية والثقافية لمنطقة الزيبان(Bouzahzah, 2015)، تقع في الجهة الشمالية الشرقية للجزائر(شكل 1)، في منطقة انتقالية بين النطاقين الصحراوي و الأطلسي، فهي تفصل بين المناخ شبه الجاف و المناخ الصحراوي الجاف، وبالتالي أعطى هذا الموقع الاستراتيجي الذي تزخر به هذه المدينة العريقة، أهمية كبيرة وجعلها مركزا للمبادلات (شمال-جنوب) بين المدن الكبرى بالشمال الشرقي والمراكز العمرانية المنتشرة بالجنوب(غانم، 1998).

فكما أشارت الكثير من الدراسات على أن المدينة كانت مركزا رئيسيا للجنوب الشرقي، وقبلة الرحل تتمتع بمكانة اقتصادية هامة، تتوافد إليها القوافل لتتبادل منتجات الصحراء بمنتجات التل وذلك في الفترة الممتدة مابين (681-1542م) (معاوية، 2016)، وبقدوم الأتراك إلى المدينة سنة (1542م)، أصبحت معبرا هاما للحجاج باحتوائها على أطول منارة في إفريقيا، هذا ما زاد من ازدهار تجارتها، كما قسمت المدينة إلى سبعة مناطق (الكرة، قداشة، باب الضرب، باب الفتح، لمسيد، راس القرية، مجنيش)، أين نمت نموا خطيا يتوافق مع اتجاه جريان السواقي (شمال _جنوب).

في سنة (1844م) تم احتلال المدينة من طرف الاستعمار الفرنسي بقيادة " Le Duc Daumal " وإنشاء قلعة القديس "Saint Germain" في السنة الموالية، في المنطقة الشمالية للمدينة، بشكل شطرنجي موجه نح والجنوب تهيكله شوارع متعامدة ومنتظمة، وهو أول تعمير أوروبي بالمدينة، وهو المركز الأكثر حيوية إذ يضم العديد من المحلات التجارية، ومطاعم، ومطحنة، ومخبزة بالإضافة إلى المساكن والمقرات الإدارية (بن غضبان، 2015)، كما اهتم الاحتلال الفرنسي بتطوير قطاع النقل لتسهيل المبادلات التجارية بين الشمال والجنوب، وانجاز سوق تجارية سنة(1855 م) بالجهة الغربية للساحة الكبيرة العقيد بوتي (العربي بن مهيدي حاليا) تقدر مساحتها ب 1600 متر مربع، تأخذ شكل مربع يتوسطه باب يفتحه عامل عند كل فجر ويتم غلقه عند الغروب، كما تمت تهيئة الجدران الخارجية للبناء لتضم عدة محلات تجارية (زردوم، 2004)، وقد ساهمت عملية إنجاز خط السكة الحديدية، والفندق والكازينو سنة (1895م) في توافد العديد من الأهالي من مناطق مختلفة من الجزائر إستمرت حتى الإستقلال، منهم الميزابيون (غرداية) الذين إهتموا بإنشاء محلات تجارية مختصة في بيع الأقمشة والألبسة والمواد الغذائية تجاور السوق المغطاة، كما وفد السوفيون (سكان واد سوف) الذين عملوا في بداياتهم على تهريب مواد الشاي، والقهوة والسكر، ثم إستقروا بالمدينة وهم الأوائل الذين إهتموا بتصدير التمور (دقلة نور) إلى أوروبا(بن غضبان، 2015).

شكل(02): الموقع الاستراتيجي لمدينة بسكرة

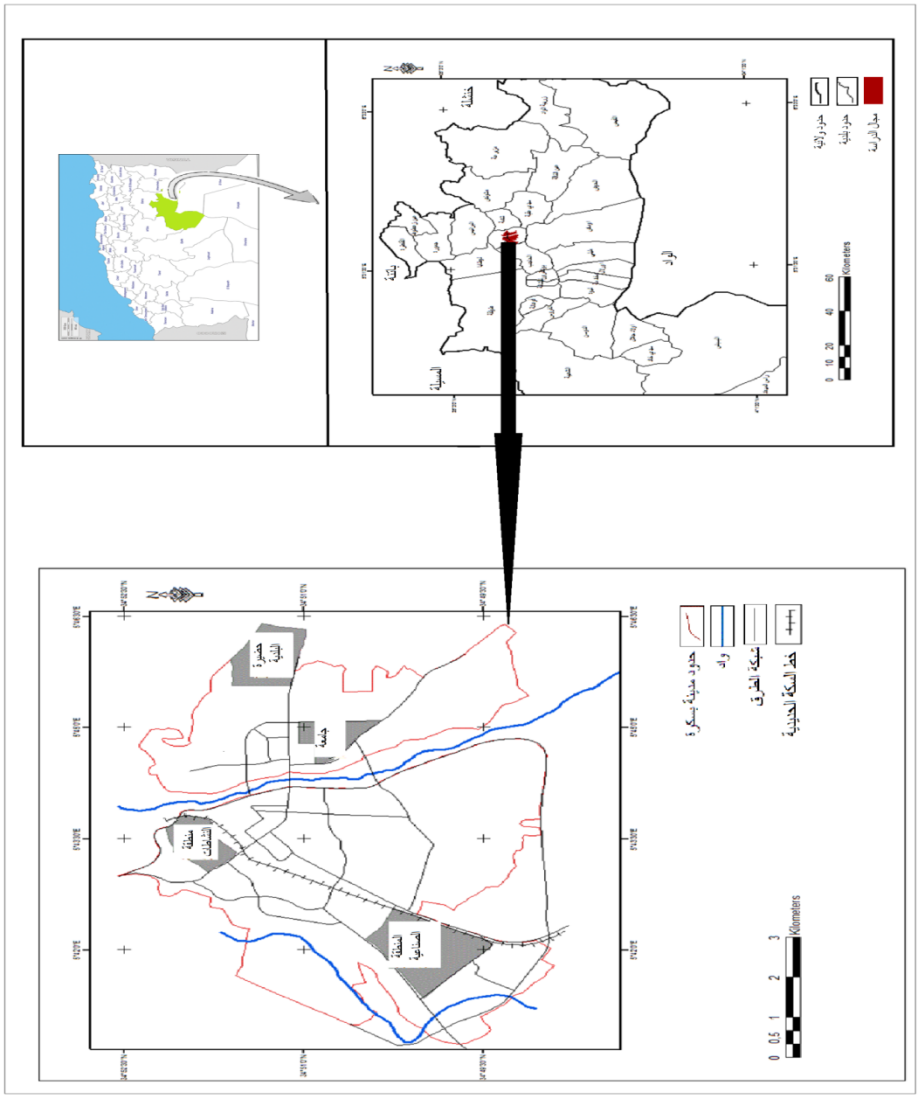

شكل (03): تجارة التمور في مدينة بسكرة

المصدر: مديرية السياحة، بسكرة.

2. التجارة الصافية نموذجا لظاهرة الاستقطاب التجاري

2.2 أهمية التجارة الصافية بالنسبة للأنشطة التجارية الأخرى :

عرف مجال الدراسة في الآونة الأخيرة ازدهار التجارة الصافية، فمن خلال المسح الميداني تبين وجود **2639** محلا تجاريا أي ما نسبته **67.29%** من اجمالي المحلات (الشكل **04**) ، كما أن هذا النشاط يتوزع بصورة متباينة عبر القطاعات الحضرية للمدينة، مع استحواذ قطاع ستر الملوك على أكبر عدد من المحلات التجارية بعدد إجمالي يقدر ب **903** محلا تجاريا، ليليه قطاع العاليا بمجموع يقدر ب **466** محلا تجاريا، مما يدل على استقطابها الكبير لهذا النوع من النشاط (الشكل **05**).

شكل(04): أهمية التجارة الصافية بالنسبة للأنشطة التجارية الأخرى

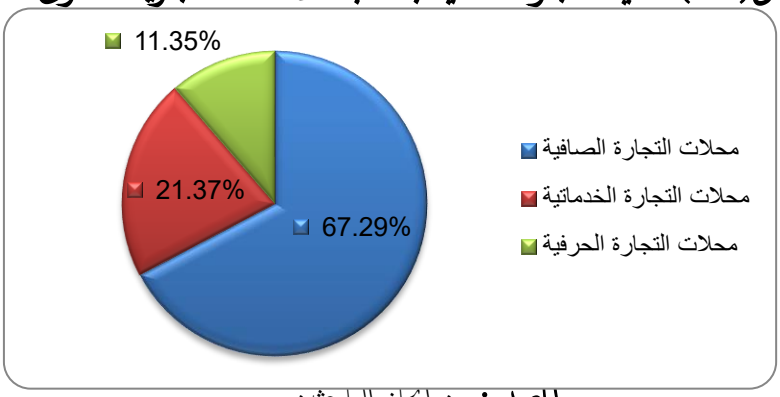

المصدر: من انجاز الباحثين

شكل(05): توزيع المحلات التجارية عبر القطاعات الحضرية لمدينة بسكرة

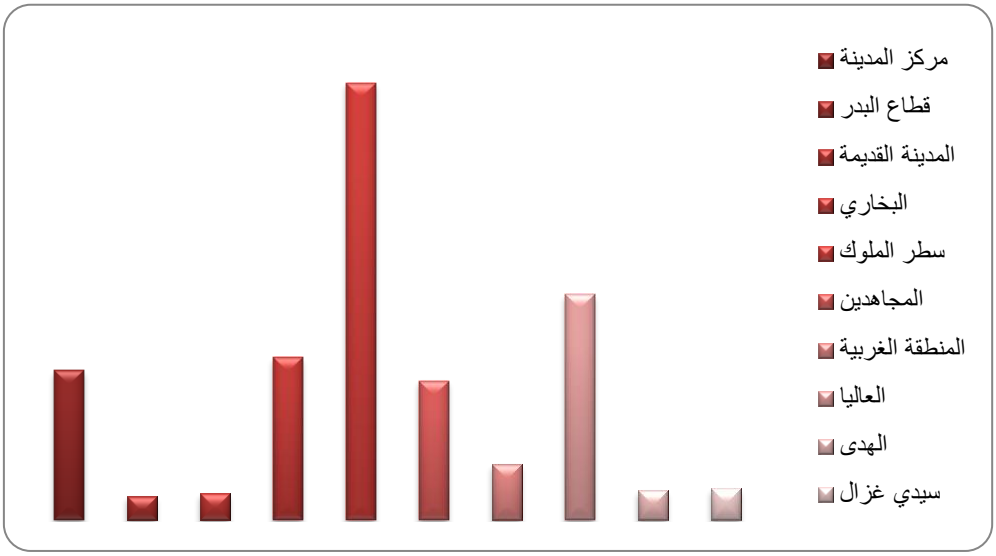

المصدر: من انجاز الباحثين

2.3 توزيع أصحاب محلات التجارة الصافية وفقا للمهنة السابقة:(مسعودي، زرايب، 2021، ص 63)

تبين لنا من خلال الاستفسار الذي وجه لأصحاب محلات التجارة الصافية بمدينة بسكرة عن أسباب توجههم واستثمار أموالهم لممارسة التجارة في مجال الدراسة، أن عدم حصولهم على مناصب عمل دائمة بأحد القطاعات الاقتصادية، تحسين المستوى المعيشي، تسريح العمال والتقاعد.

حسب نتائج المعطيات الميدانية فقد بلغ عدد التجار الذين لم تكن لديهم مهنة سابقة 61 تاجرا أي ما يعادل 23.28%، بينما بلغ عدد التجار الذين لديهم خبرة في مجال التجارة 69 تاجرا وهو ما يعادل 26.33%، في حين شكل التجار الذين كانوا يمارسون أعمال حرة ثم توجهوا نحو العمل في مجال التجارة 42 تاجرا أي ما يعاد 16.03%.

شكل (06): توزيع أصحاب محلات التجار الصافية وفقا للمهنة السابقة:

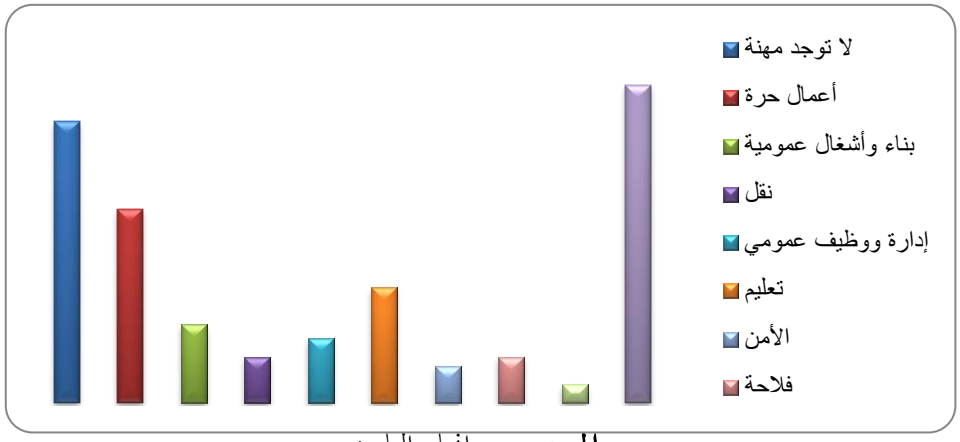

المصدر: من انجاز الباحثين

2.4 الأصل الجغرافي لأصحاب محلات التجارة الصافية:

تبرز أهمية مدينة بسكرة من خلال استقطاب التجار من مختلف المناطق واستقرارهم بمجال الدراسة، حيث سمحت لنا المعطيات التي تم استخراجها من 260 استمارة وجهت لأصحاب محلات التجارة الصافية لمدينة بسكرة لسنة 2020، من معرفة الأصل الجغرافي للتجار والكشف عن المستوى الكبير لظاهرة الاستقطاب التجاري بالمدينة والتي توضح مايلي:

- **تجار من ولاية بسكرة:** تبين من خلال الشكل رقم (07) أن أكثر من 50.31% من مجموع أصحاب محلات التجارة الصافية هم من سكان مدينة بسكرة، 48.95% من التجار ينحدرون من البلديات الواقعة في الجهة الشرقية لولاية بسكرة ونخص بالذكر بلدية مزيرعة، في حين التجار المنحدرين من البلديات الواقعة في الجهة الغربية للولاية لا يشكلون سوى 13.73%.

- **تجار من خارج ولاية بسكرة:** توضح الشكل رقم (08) النسبة الكبيرة للتجار الوافدين من الولايات الشمالية، أغلبهم ينحدرون من ولاية باتنة والذين يمثلون 54.45% من مجموع أصحاب محلات التجارة الصافية، واغلبهم متخصص في تجارة المجوهرات، الألبسة، قطع الغيار، الأقمشة ولوازم الخياطة وهي نسبة مرتفعة تعكس العلاقة الوظيفية التي تربطها بولاية باتنة ناتجة عن عامل اقرب المسافة بين الولايتين، من جهة ومن جهة ثانية علاقتها بولاية مسيلة حيث يقدر عدد التجار الوافدين ب12.87 % وأغلبهم متخصص في تجارة الأواني، كما أظهرت معطيات التحقيق الميداني التوافد المعتبر للتجار من الولايات الساحلية ونخص ولاية جيجل حيث شكل التجار الوافدين ما نسبته 2.97% في حين شكل التجار الوافدين من ولاية تيزي وزو ما نسبته 1.01% .

شكل(07): محلات التجارة الصافية: الأصل الجغرافي للتجار الوافدين من ولاية بسكرة

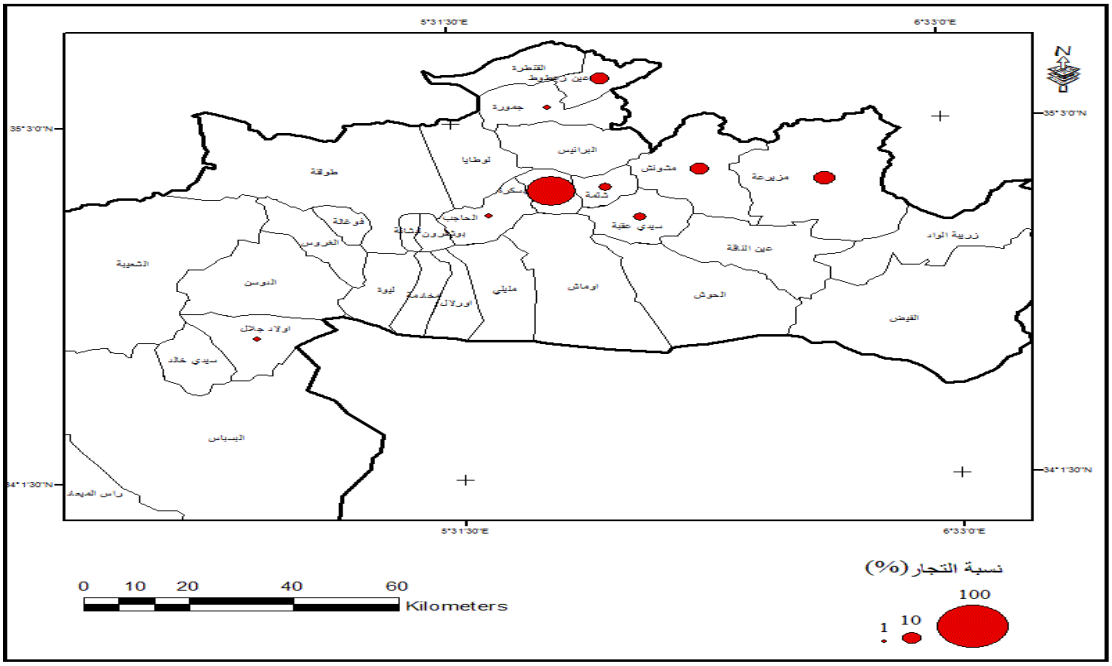

المصدر: من انجاز الباحثين

شكل(08): محلات التجارة الصافية: الأصل الجغرافي للتجار الوافدين من خارج ولاية بسكرة

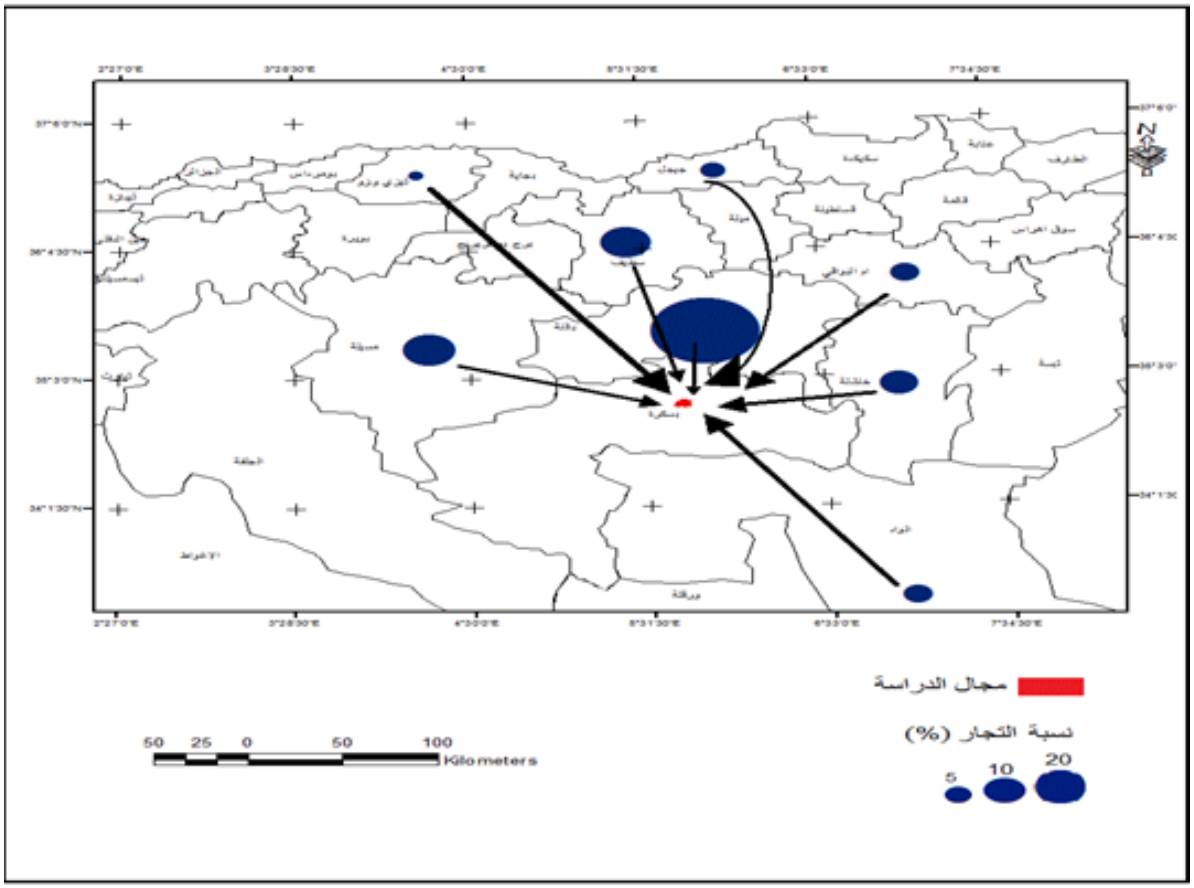

المصدر: من انجاز الباحثين

خلاصة:

شكلت مدينة بسكرة نموذجا لدراسة ظاهرة الاستقطاب التجاري لإحدى المدن الجزائرية المتوسطة، حيث اكسبها موقعها الاستراتيجي بأن تكون مركزا للتبادلات التجارية، تتوافد إليها القوافل لتتبادل منتجات الصحراء بمنتجات التل وهذا ما أشارت إليه الكثير من الدراسات، وكما أدت الترقية الإدارية التي استفادت منها المدينة إلى ازدهار الوظيفة التجارية، أين يبرز دور التجارة الصافية في اقتصاديات المجتمع البسكري إذ أصبحت تشكل ما نسبته **67.29%** من إجمالي المحلات التجارية، حيث بينت الدراسة استحواذ قطاع ستر الملوك والعاليا واستقطابها لهذا النوع من النشاط، إضافة إلى استقطابها للتجار من مهن مختلفة، حيث يشكل التجار الذين توجهوا من قطاعات أخرى للعمل في قطاع التجارة ما نسبته 73.67%، كما بينت الدراسة استقطاب المدينة للتجار من خارج مجال الدراسة أغلبهم من ولاية باتنة بنسبة54.45% والتي

تعكس العلاقة الوظيفية التي تربطها بولاية باتنة ناتجة عن عامل قرب المسافة بين الولايتين، والتوافد المعتبر للتجار من الولايات الساحلية ونخص بالذكر ولاية جيجل بنسبة2.97%.

- **قائمة المراجع:**

- **المراجع العربية:**

- **زردوم، ع (2004)،** *"تاريخ بسكرة الفرنسية"*، مطبعة المنار، الجزائر.
- **مصيلحي، م (2011)،** *"جغرافية الخدمات :الإطار النظري وتطبيقات عربية"* ، الطبعة الثانية، مطابع جامعة المنوفية، مصر.
- **شايب ذراع،** م (2014)، "واقع سياسة التهيئة العمرانية في ضوء التنمية المستدامة"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر.
- **غانم، ع (1998)،** *"التنظيم المجالي حاضرا ومستقبلا في ولاية بسكرة"*، أطروحة دكتوراه علوم. كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة ،الجزائر.
- **معاوية، ص (2016)،** *"التطوير الحضري والتنمية المستدامة في المدن الصحراوية- مدينة بسكرة نموذجا- "* ، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر.
- **مسعودي، د. زرايب، ص (2021)،** دور التحولات الاجتماعية والاقتصادية في ترقية مناخ الاستثمار التجاري بالمدن الجزائرية- مدينة بسكرة نموذجا-، مجلة الاستراتيجية والتنمية، المجلد 11، العدد03.
- **بن غضبان، ف (2015)، "**أثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية على البنية التجارية للمدن الصحراوية الجزائرية، دراسة في مدينة بسكرة –الجزائر"، أشغال الملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية - تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية يومي 3-4 مارس 2015.

المراجع الأجنبية:

- **Bakhouche, Z**, **(2002),**« *Strectures commerciales et Dynamiques urbaine-cas de Biskra–*», Thèse de doctorat, UFR de Géographie- Université Aix Marseille, France.
- **Bouzahzah, F, (2015)**, «*Dynamique urbaine et nouvelle centralité cas de BISKRA –ALGERIE-*». Thèse doctorat science, Aménagement de territoire, université de Constantine 3, Algérie.
- **Fontaine , J, (**1996) "Les populations sahariennes", Les cahiers d'URBAMA, n° 12, université de Tours